العلاقة بين البلاغة والتفسير

إبراهيم جمعة عيسى

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله واصحابه اجمعين اما بعد :

إن علم التفسير أجل العلوم على الإطلاق، وأفضلها وأوجبها وأحبها إلى الله، لأن الله أمر بتدبر كتابه، والتفكر في معانيه ، والاهتداء بآياته ، وأثنى على القائمين بذلك، وجعلهم في أعلى المراتب، ووعدهم أسنى المواهب، فلو أنفق العبد جواهر عمره في هذا الفن، لم يكن ذلك كثيراً في جنب ما هو أفضل المطالب، وأعظم المقاصد، وأصل الأصول كلها، وقاعدة أساس السعادة في الدارين، وصلاح أمور الدين والدنيا والآخرة ، ولا يمكن لأي أنسان أن ينكر الصلة الوثيقة بين علمي التفسير والبلاغة ، فلا يجوز إقصاء البلاغة عن التفسير ، وإبعادها عن وظيفتها في الوقوف على الخصائص التعبيرية للآيات الكريمة واستخلاص معانيها ، ناهيك عن التأثير الذي تحدثه بلاغة آيات الكتاب العزيز في نفس السامع لها ، والقارئ وإيصال المعنى إلى قلبه في أحسن صورة من اللفظ لذا فقد قسمت بحثي هذا إلى ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : شرعت فيه تعريف البلاغة والتفسير واشتمل على اربعة مطالب :

المطلب الاول : تعريف البلاغة لغة .

المطلب الثاني : تعريف البلاغة اصطلاحا .

المطلب الثالث : تعريف التفسير لغة .

المطلب الرابع : تعريف التفسير أصطلاحا .

أما المبحث الثاني : تكلمت فيه عن علاقة البلاغة بالتفسير وكونها الآداة إلى فهم معاني الآيات القرآنية .

أما المبحث الثالث : تحدثت فيه عن أهمية البلاغة في كتاب الكشاف للإمام الزمخشري لما فيه من دقة التعبير ولطائف بلاغية كثيرة .

ثم الخاتمة التي تضمنت أهم النتائج التي وصل إليها البحث ، أجملت فيها ما سبق عرضه تفصيلاً وأعقبتها بقائمة المصادر التي أفدت منه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم وعلى آله وأصحابه أجمعين...

المبحث الأول:التعريفات

المطلب الأول : تعريف البلاغة لغة :

قال ابن منظور : ((بَلَغَ الشيءُ يَبْلُغُ بُلُوغاً وبَلاغاً: وصَلَ وانْتَهَى، وأَبْلَغَه هُوَ إِبْلاغاً وبَلَّغَه تَبْلِيغاً) [١]

وقال صاحب المعجم الوسيط : ((البلاغة حسن الْبَيَان وَقُوَّة التَّأْثِير وعِنْد عُلَمَاء البلاغة مُطَابقَة الْكَلَام لمقْتَضى الْحَال مَعَ فَصَاحَته)) [٢]

المطلب الثاني : تعريف البلاغة اصطلاحا :

قال الجرجاني : ((البلاغة في الكلام مطابقته لمقتضى الحال. والمراد بالحال: الأمر الداعي إلى التكلم على وجه مخصوص مع فصاحته، أي فصاحة الكلام. وقيل: البلاغة : تنبؤ عن الوصول والانتهاء، يوصف بها الكلام والمتكلم فقط، دون المفرد)) [٣]

وقال الكفوي : ((البلاغة هِيَ التَّعْبِير عَن الْمَعْنى الصَّحِيح لما طابقه من اللَّفْظ الرَّائِق من غير مزِيد على الْمَقْصد وَلَا انتقاص عَنهُ فِي الْبَيَان)) [٤]

المطلب الثالث : تعريف التفسير لغة :

قال ابن منظور : التفسير : الإيضاح والتبيين[٥] ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾[٦]

وقال السيوطي : ((التفسير تفعيل من الفسر وهو البيان والكشف ويقال هو مقلوب السفر تقول : أسفر الصبح أذا أضاء وقيل مأخوذ من التفسرة وهي اسم لما يعرف به الطبيب المريض)) [٧] .

المطلب الرابع : تعريف التفسير اصطلاحا :

قال ابو حيان: ((التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي يحمل عليها حالة التركيب وتتمّات ذلك)) [٨]

وقال الجرجاني : ((توضيح معنى الآية، وشأنها، وقصتها، والسبب الذي نزلت فيه، بلفظ يدل عليه دلالةً ظاهرة)) [٩]

وقيل : ((وهو علم يعرف به نزول الآيات وشؤونها وأقاصيصها والأسباب النازلة فيها، ثم ترتيب مكّيها ومدنيّها، ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصّها وعامّها، ومطلقها ومقيّدها، ومجملها ومفسّرها، وحلالها وحرامها، ووعدها ووعيدها، وأمرها ونهيها، وأمثالها وغيرها)) [١٠]

المبحث الثاني:علاقة البلاغة بالتفسير

نفهم من خلال تعريف البلاغة السابق أن سلامة تركيب الكلمات إذا أدى إلى إفادة معنى يكون هذا من البلاغة ، أي أن الكشف عن المعنى والوصول إلى المقصود هو من البلاغة ، وهذا بحد ذاته يكشف عن علاقة البلاغة بالتفسير ٠ وليس عبثاً إذ أطلق العلماء على أبرز قسم من أقسام البلاغة (علم المعاني) ، فلولا التصاقه بالمعاني وكشفه عنها لما كان لهذه التسمية فائدة كبيرة ٠[١١]

إن فهم القران الكريم وتفسيره بالاستعانة بعلوم البلاغة يعد تفسيراً بالرأي ، وحتى يكون التفسير بالرأي محموداً مقبولاً لابد أن تتوفر فيه شروط المعروفة لدى المهتمين بهذا العلم ، مثل موافقة ما صح عن رسول الله (ﷺ) وعدم بتر النص القرآني عن سياقه ، وموافقة اللغة العربية ، وأن لا يكون التفسير موافقاً لبدعة أو هوى ، والبلاغة جاءت وسيلة لفهم القران والوقوف على إعجازه ، وهي أداة من الأدوات وعلم من العلوم التي يحتاجها لمن يتصدى للتفسير[١٢]، لذا نجد أن الزمخشري جعل علمي المعاني والبيان والإلمام بهما أهم أدوات التفسير ، إذ قال: ((إن أملأ العلوم بما يغمر القرائح وأنهضها بما يبهر الألباب القوارح من غرائب نكت يلطف مسلكها ومستودعات أسرار يدق سلكها علم التفسير الذي لا يتم لتعاطيه وإجالة النظر فيه كل ذي علم كما ذكر الجاحظ في كتاب نظم القران فالفقيه وإن برز علم الأقران في علم الفتاوى والأحكام والمتكلم؛ وإن برز أهل الدنيا في صناعة الكلام والحافظ القصص والأخبار، وان كان من ابن القرية أحفظ والواعظ وإن كان من الحسن البصري أوعظ والنحوي، وان كان من سيبويه واللغوي، وإن علق اللغات بقوة لحييه لا يتصدى منهم احد لسلوك تلك الطرائق، ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقران الكريم وهما علم المعاني وعلم البيان وتمهل في أرتيادهما آونة وتعب في التنقير عنها أزمنة وبعثته على تتبع مظانهما همة في معرفة لطائف حجة الله وحرص على استيضاح معجزة رسول الله (ﷺ) بعد أن يكون آخذاً من سائر العلوم جامعاً بين أمرين تحقيق وحفظ كثير المطالعات طويل المراجعات)) [١٣]

وقد ذكر ابو حيان في تفسيره أهمية أن يتذرع المفسر بعلوم البلاغة وأهمها البيان فقال : ((والوجه الثالث كون اللفظ أو التركيب أحسن وأفصح ويؤخذ ذلك من علم البيان والبديع وقد صنف الناس في ذلك تصانيف كثيرة واجمعها ما وضعه الأديب الحافظ المتبحر (أبو الحسن حازم بن محمد بن حازم الأندلسي الأنصاري) في كتابه (منهاج البلغاء وسراج الأدباء) [١٤]

وقد تحدث الشوكاني عن معرفة كل ما يقتضيه النظم القرآني باعتبار المعنى اللغوي، ومعلوم أن ذلك لا يستلزم إهمال سائر المعاني التي تفيدها اللغة العربية ولا إهمال ما يستفاد من العلوم التي تتبين بها دقائق اللغة العربية وأسرارها كعلم المعاني والبيان، فإن التفسير بذلك هو تفسير باللغة لا تفسير بمحض الرأي المنهي عنه [١٥]

وابرز الالوسي أهمية كل علم من علوم البلاغة بالنسبة للمفسر فقال: علم المعاني والبيان والبديع ويعرف بالأول خواص تراكيب الكلام من جهة إفادتها المعنى وبالثاني خواصها من حيث اختلافها وبالثالث وجوه تحسين الكلام وهو الركن الاقوم واللازم الأعظم في هذا الشأن [١٦]

وأكد عبد القاهر الجرجاني ضرورة الاهتمام بعلم البيان لمن يريد التفسير قائلاً : ((ومن عادة قوم ممن يتعاطى التفسير بغير علم أن يتوهموا أبداً في الألفاظ الموضوعة على المجاز والتمثيل أنها على ظواهرها فيفسدوا المعنى بذلك ويبطلوا الغرض ويمنعوا أنفسهم والسامع منهم العلم بموضع البلاغة وبمكان الشرق وناهيك بهم إذ هم أخذوا في ذكر الوجوه وجعلوا يكثرون في غير طائل هناك ترى ما شئت من باب جهل قد فتحوه وزند ضلالة قد قدحوا به)) [١٧] والأساليب وهذا الصنف من التفسير قل أن ينفرد عن الأول إذ الأول هو المقصود بالذات، وإنما جاء هذا بعد أن صار اللسان وعلومه صناعة نعم قد يكون في بعض التفاسير غالباً من أحسن ما اشتمل عليه هذا الفن من التفاسير كتاب الكشاف للزمخشري [١٨]

يتبين لنا من كل ما سبق من الأقوال مدى الصلة الوثيقة التي بين علمي التفسير والبلاغة ، فلا يجوز إقصاء البلاغة عن التفسير ، وإبعادها عن وظيفتها في الوقوف على الخصائص التعبيرية للآيات القرآنية واستخلاص معانيها ، ناهيك عن التأثير الذي تحدثه بلاغة آيات القرآن في نفس السامع لها والقارئ وايصال المعنى إلى قلبه في أحسن صورة من اللفظ ولبيان هذه الصلة لابد لنا من الوقوف على بعض الامثلة لتتجلى هذه الصلة ونلمسها واقعاً عملياً .

إن اختيار اللفظة القرآنية الذي هو من مظاهر البلاغة أمر شديد الصلة بالمعنى الذي تفيده الآية ، وإلا فلماذا ذكر الله عز وجل كلمة (السنة) تارة ، وكلمة (العام) تارة أخرى ، في الآية نفسها ؟ فقد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾[19]

إذ بيّن القران الكريم دقة استعمال واختيار المفردة القرآنية وانها قد امتازت بسمة القصدية والتي هي وقوع اللفظة بعينها في مكانها المقصود، لم يكن ذلك إلا لأن كل كلمة تعطي معنى مختلفاً عن الآخر ، فالسنة تلقى من منطوقها ظلال الشدة والقحط والصعوبة ، أما العام هو على عكس من ذلك ، قال تعالى : ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾﴾[20]

ثوإذا لاحظنا الت﴿ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾،[21]

التقديم والتأخير وهو مبحث من مباحث علم المعاني الذي هو أحد أقسام علم البلاغة وعرفنا ما له من أثر على المعنى ، نعلم حينئذ مدى التصاق علم المعاني وعلم التفسير ، فليس تقديم المفعول إياك في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[22]

، إلا لمعنى أفاده هذا التقديم ، وهو التخصيص ؛ لأن العبادة والاستعانة مختصان بالله تعالى فلا يعبد احد غيره ولا يستعان به، لذلك قال المفسرون إن تفسير الآية نخصك وحدك بالعبادة والاستعانة ، ولم

يقولوا نعبدك ونستعينك ٠٠٠ وفرقٌ بين التفسيرين[23]٠ والذكر والحذف من مباحث علم المعاني ويتبين من خلاله اهمية البلاغة في التفسير فمن ذلك قوله تعالى :﴿فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا ٩٧﴾ [٢٤]، وهذه الآية عن السد الذي صنعه ذو القرنين من قطع الحديد والنحاس المذاب فقال : ﴿ فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ ﴾ اي صعدوا عليه فحذف التاء والأصل (أستطاعوا) ثم قال : ﴿ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ﴾ ببقاء التاء ، وذلك أنه لمل كان صعود السد الذي هو سبيكة من قطع الحديد والنحاس ايسر من نقبه واخف عملاً وخفف للعمل الخفيف فحذف التاء فقال (اسطاعوا) وطول الفعل باطول بناء له للعمل الطويل فقال : (استطاعوا)، [٢٥] وكذا يقال في علم البيان من تشبيهات واستعارات ومجازات وفي علم البديع من جناس وطباق ومقابلة ٠

المبحث الثالث:أهمية البلاغة في تفسير الكشاف للزمخشري

عندما يلقي الإنسان نظرة فاحصة على العمل التفسيري الذي قام به الإمام الزمخشري في كتابه الكشاف ، يظهر عليه أن المبدأ الغالب عليه في جهوده التفسيرية ، كان في تبيين ما في القرآن من الثروة البلاغية ، التي كان لها كبير الأثر في عجز العرب عن معارضته والإتيان بأقصر سورة من مثله ، والذي يقرأ ما أورده الزمخشري عند تفسيره لكثير من ضروب الاستعارات والمجازات ، والأشكال البلاغية الأخرى ، يرى أن الزمخشري كان يحرص كل الحرص على أن يبرز في حلة بديعة جمال أسلوبه وكمال نظمه ، ويحاول أن يعزز رأيه بكل وسيلة فيستعين بكلام العرب تارة ، ويستشهد بآيات من القران الكريم وأحاديث الرسول (ﷺ) تارة أخرى [٢٦]

وإذا استعرضنا كتب التفسير وتأملنا مبلغ عنايتها باستخراج ما يحتويه القرآن من ثروة بلاغية في المعنى والبيان ، بأنه ربما لا يوجد تفسير أوسع مجالاً في جهوده في هذا الصدد من تفسير الزمخشري[٢٧]

ويرى الزمخشري ان البيان القرآني نمط من بيان العرب يجري أحيانًا على أسلوب الشعر ، والبيان القرآني على أسلوب الشعر في الفاصلة [٢٨]

لم يعرض الزمخشري إلى المصطلحات البلاغية كما استخدمها البلاغيون قبله أو بعده ، انما كان له منهج في ذلك ، إذ يستعين بالمصطلح البلاغي للكشف البياني عن معاني القرآن الكريم ولذلك فان ورود المصطلح البلاغي في الكشاف يختلف عن وروده في كتب البلاغيين ، وذلك من حيث الغاية والمقصد ، وإن اتفق الزمخشري مع البلاغيين في تسمية المصطلح ، ولكنه لا يلح عليه باعتباره درساً في فنون البلاغة العربية، بل بوصفه لوناً وطريقاً مؤدياً إلى تجليات البيان القرآني[29]، ومن ذلك قوله حول الآية قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢﴾[30]

، والمعنى ((وترآهم سكارى على التشبيه وما هم بسكارى على التحقيق ، ولكن ما رقهم من خوف عذاب الله هو الذي اذهب عقولهم ، وطير تمييزهم ، وردهم فينحو حال من يذهب السكر بعقله وتمييزه ، وقيل ترآهم سكارى من الخوف وما هم بسكارى من الشراب))[٣١]

ومثال التشبيه في الاستعمال القرآني ، الاستعارة وذلك في قوله تعالى : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ۝١١﴾[٣٢] .

((استعير (الضلال البعيد) من ضلال من ابعد في التيه ضالاً فطالت وبعدت مسافة ضلالته))[٣٣].

ومنها الكناية كما جاء في تفسير لقوله تعالى﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ۝٢٤﴾[٣٤].

لأن اتقاء النار لصيقة وضميمه ترك العناد من حيث أنه من نتائجه لأن من اتقى النار ترك المعاندة وهو من باب الكناية التي هي شعبة من شعب البلاغة، وفائدة الإيجاز الذي هو من حلية القرآن، وتهويل شأن العناد بإنابة انتقاء النار منابه وابرازه في صورته مشيعاً ذلك بتهويل صفة النار وتفظيع امرها [35]، ومن دقة التعبير القرآني في قوله تعالى : ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ [36]

((والقول لا يكون الا بالفم قلت : معناه أن الشيء المعلوم يكون علمه في القلب فيترجم عنه اللسان وهذا الإفك ليس إلا قولاً يجري على السنتكم ويدور في أفواهكم من غير ترجمة عن علم به في القلب كقوله تعالى : ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّا ٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۖ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾﴾ [37]

اي تحسبونه صغيرة وهو عند الله كبيرة وموجبة))[38]، ونلاحظ أنه يكثر من المجاز المرسل التي تتحقق به العلاقة المحلية، فهو يصرف معنى الآية الى المجاز دون الحقيقة مظنة موافقة رأيه ومعتقده فقد قال : في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾ [39]

، ((لا ينظر إليهم ، مجاز عن الاستهانة بهم والسخط عليهم تقول : فلان لا ينظر إلى فلان تريد نفي اعتداده به واحسانه إليه (ولا يزكيهم) ولا يثنى عليهم فان قلت : اي فرق بين استعماله فيمن يجوز عليه النظر الكناية لأن من أعتد بالإنسان التفت اليه واعاره نظر عينيه ثم كثر حتى صار عبارة عن الاعتداد والاحسان وإن لم يكن ، ثم نظر ثم جاء فيمن لا يجوز عليه النظر مجرداً لمعنى الاحسان مجازاً عما وقع كناية عن فيما يجوز عليه النظر)) [٤٠]

وقد أكثر من التنبيه على الالتفات باعتباره احد روائع البيان القرآني ، ويبين عن حسن هذا الأسلوب في القرآن الذي بالتفنن فيه يطرى نشاط السامع قال : في الآية قال تعالى : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [41] ، فإن قلت لم عدل عن لفظ الغيبة إلى لفظ الخطاب قلت : هذا ما يسمى بالألتفات في علم البيان ﴿هُوَ ٱلَّذِى قد يكون من الغيبة إلى الخطاب ومن الخطاب الى الغيبة ومن الغيبة إلى التكلم كقوله تعالى : يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [42]

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾﴾ [43]

، وذلك على عادة تفننهم في الكلام وتصرفهم فيه ولأن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع وايقاظاً للأصغاء اليه من اجرائه على اسلوب واحد [44] ، ومن استعمالات الالتفات ما يرمي الى غاية التفخيم والتعظيم كقوله تعالى : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ

ٱللَّهِ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ﴿
(45)

، ولم يقل واستغفرت لهم وعدل عنه إلى طريقة الالتفات تفخيماً لشأن رسول الله (ﷺ) وتعظيماً لاستغفاره [٤٦]

ولقد كانت لعناية الزمخشري بهذه الناحية في تفسيره من الأثر بين المفسرين وبين ما هو واضح بين، أما أثره بين المفسرين ، فإنهم استفادوا من تفسيره فوائد كثيرة كانوا لا يلتفتون إليها لولاه ، فاوردوا في تفسيرهم ما ساقه ، الزمخشري في كشافه من ضروب الاستعارات والمجازات والاشكال البلاغية الاخرى ، واعتمدوا ما نبه عليه من نكات بلاغية ، تكشف عما دق من براعة نظم القرآن وحسن اسلوبه ٠

وأما أثره بين مواطنيه من المشارقة ، فإنهم اخذوا عنه هذا الفن البلاغي وبرعوا فيه ، حتى سبقوا من عداهم من المغاربة وقد بين ابن خلدون في مقدمته ، عند الكلام عن علم البيان ، ما لتفسير الزمخشري من الأثر في براعة هذا الفن [٤٧]

الخاتمة

من خلال دراستنا للعلاقة بين البلاغة والتفسير ظهرت لنا أمور منها :

١ . إن البلاغة العربية احد أدوات المفسر المهمة لانه بها تتبين له المعاني والفوائد التي تكون ابعد من نطاق اللفظ ٠

٢. من خلال البلاغة العربية يتبين جمال الأسلوب القرآني وبراعته مما له صلة بالإعجاز البياني في القران الكريم ٠

٣. صلة البلاغة بالتفسير لأنها تعطي معاني الكلمات من اللفظ للآيات القرآنية ٠

٤. إن تفسير الإمام الزمخشري قمة في الروعة والبيان لذلك اجتهد في تفسير الآيات للوصول إلى تلك المعاني والمقاصد حتى تميز تفسيره بهذه السمة وفاق كل التفاسير من هذه الناحية ٠

المصادر والمراجع

القران الكريم

(١) الإتقان في علوم القران ، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ،تحقيق سعيد المندوب ، دار الفكر ، بيروت ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م ط١ ٠

(٢) اثر البلاغة في تفسير الكشاف ، عمر الملا حويش ، دار البصري . بغداد ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠م ٠

(٣) إعجاز القران الكريم ، د٠ فضل عباس ، دار الفرقان ٠

(٤) تطور دراسات إعجاز القران وأثرها في البلاغة العربية ، عمر الملا حويش ، جامعة بغداد ١٩٧٢ ٠

(٥) التعبير القرآني ، فاضل صالح السامرائي ، جامعة بغداد ، بيت الحكمة٠

(٦) التعريفات ، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ) دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م، ط١ ٠

(٧) البحر المحيط في التفسير ، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي ، تحقيق : صدقي محمد جميل دار الفكر – بيروت ٠

(٨) التفسير والمفسرون ، د٠ محمد حسين الذهبي ، دار الكتب الحديثة . مصر ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م، ط٢ ٠

(٩) دراسات في التفسير ، والمفسيرين ، د٠ عبد القهار داود عبد الله العاني ، مطبعة أسعد . بغداد ١٩٨٧ ٠

(١٠) دلائل الإعجاز ، للامام عبد القاهر الجرجاني ، دار الكتاب العربي . بيروت ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ط١ ٠

(١١) روح المعاني في تفسير القران العظيم والسبع المثاني ، شهاب الدين السيد محمود الآلوسي ، دار إحياء التراث العربي . بيروت ٠

(١٢) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، دار الفكر . بيروت ٠

(١٣) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي ، تحقيق: د. علي دحروج ، مكتبة لبنان – بيروت ، ط١ – ١٩٩٦م ٠

(١٤) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، تحقيق عبد الرزاق مهدي ، دار إحياء التراث العربي .

(١٥) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت: ١٠٩٤هـ) ، تحقيق : عدنان درويش – محمد المصري ، مؤسسة الرسالة – بيروت ٠

(١٦) لسان العرب ، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: ٧١١هـ) دار صادر – بيروت ١٤١٤ هـ، ط٣

(١٧) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، إبراهيم مصطفى وزملائه، دار الدعوة

(١٨) مقدمة أبن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي ، دار القلم . بيروت ١٩٨٤هـ، ط٥ ٠

(١٩) مناهج وارآء في لغة القرآن ، د٠ محمد بركات حمدي ابو علي ، دار الفكر . عمان ١٩٨٤ ٠

(٢٠) منهج الزمخشري في تفسير القران وبيان إعجازه ، د٠ مصطفى الصاوي الجويني ، دار المعارف ، ط٣ ٠

ثبت الهوامش

١ – لسان العرب ، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى ت: ٧١١هـ، دار صادر – بيروت ١٤١٤ هـ، ط٣ ، ٨ / ٤١٩ .

٢ – المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى ، دار الدعوة ، ١ / ٧٠ .

٣ – التعريفات ، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ) دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م، ط١ ، ١ / ١٢٠ .

٤ – الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي ، ت: ١٠٩٤هـ ، تحقيق : عدنان درويش – محمد المصري ، مؤسسة الرسالة – بيروت ١/ ٢٣٦ .

٥ – لسان العرب : ٥ / ٥٥ .

٦ – سورة الفرقان : الآية / ٣٣ .

٧ – الإتقان في علوم القران ، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ،تحقيق سعيد المندوب ، دار الفكر ، بيروت ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م، ط١ ، ٢ / ٤٦٠ .

٨ – البحر المحيط في التفسير ، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي ، تحقيق : صدقي محمد جميل دار الفكر – بيروت ، ١/ ٢٦ .

٩ – كتاب التعريفات: ١ / ٦٣ .

[١٠] – كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي ، تحقيق: د. علي دحروج ، مكتبة لبنان – بيروت ، ط١ –١٩٩٦م، ١ / ٣٢

[١١] – مقالة على شبكة المعلومات على موقع : ملتقى البيان لتفسير القرآن .

١٢ – ينظر : تطور دراسات إعجاز القران وأثرها في البلاغة العربية ، عمر الملا حويش ، جامعة بغداد ،١٩٧٢، ص ٣٣٦ .

١٣ – الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، تحقيق عبد الرزاق مهدي ، دار إحياء التراث العربي . بيروت ، ١/ ٤٢ . ٤٣ .

١٤ – تفسير البحر المحيط ، ١ / ١٠٧ .

١٥ – ينظر: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، دار الفكر . بيروت ، ١/ ١٢ .

١٦ – ينظر: روح المعاني في تفسير القران العظيم والسبع المثاني ، شهاب الدين السيد محمود الآلوسي ، دار إحياء التراث العربي . بيروت ، ١ / ٥ . ٦ .

١٧ – دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، دار الكتاب العربي . بيروت ١٤١٥هـ ، ط١ ، ١/ ٢٣٥ .

١٨ – ينظر: مقدمة أبن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي ، دار القلم ، ط٥، ٤٤٠/١ .

١٩ – سورة العنكبوت: ا لآية / ١٤ .

٢٠ – سورة يوسف: الآية / ٤٧ .

٢١ – ينظر: إعجاز القران الكريم ، د. فضل عباس ، دار الفرقان ، ص ١٧٨ .

٢٢ – سورة الفاتحة: الآية / ٥ .

٢٣ – ينظر: التعبير القرآني، فاضل صالح السامرائي، جامعة بغداد ، بيت الحكمة ، ص٤٨ .

٢٤ – سورة الكهف: الآية / ٩٧ .

٢٥ – ينظر التعبير القرآني ، ص٧٢ .

[٢٦] – ينظر: اثر البلاغة في تفسير الكشاف ، عمر الملا حويش، دار البصري . بغداد ١٣٩٠ هـ ، ص ١٩٥ .

[٢٧] – ينظر: التفسير والمفسرون، د. محمد حسين الذهبي، دار الكتب الحديثة . مصر ١٣٩٦هـ، ط٢، ١/ ٤٤٣

[٢٨]– ينظر: مناهج وارآء في لغة القرآن ، د. محمد بركات حمدي ابو علي ، دار الفكر . عمان ١٩٨٤م ، ص٤١

٢٩ – ينظر : مناهج واراء في لغة القرآن ، ص٤١ .

٣٠ – سورة الحج : الآية /٢ .

٣١ – الكشاف ، ٣ / ١٤٣ . ١٤٤ .

٣٢ – سورة الحج : الآية / ١١ .

٣٣ – ينظر: الكشاف، ٣ / ١٤٨ .

٣٤ – سورة البقرة: الآية / ٢٤ .

٣٥ – الكشاف ، ١/ ١٣٢ .

٣٦ – سورة النور: الآية / ١٥ .

٣٧ – سورة آل عمران: الآية / ١٦٧ .

٣٨ – الكشاف: ٣ / ٢٢٣ . ٢٢٤ .

٣٩ – سورة آل عمران: الآية / ٧٧ .

٤٠ – ينظر دراسات في التفسير ، والمفسيرين ، د. عبد القهار داود عبد الله العاني ، مطبعة أسعد . ص ١٣٧ .

٤١ – سورة الفاتحة : الآية / ٥ .

٤٢ – سورة يونس : الآية / ٢٢ .

٤٣ – سورة فاطر : الآية / ٩ .

٤٤ – الكشاف : ١ / ٥٦ .

٤٥ – سورة النساء: الآية / ٦٤ .

٤٦ – ينظر: منهج الزمخشري : في تفسير القران وبيان اعجازه ، د. مصطفى الصاوي الجويني ، ص٢٣٢

٤٧ – ينظر: التفسير والمفسرون ، ١ / ٤٤٣ . ٤٤٤ .